الدّلالات في رواية أعشقني لسناء الشعلان بنت نعيمة

بقلم: أ. د. نور الدين صدار / الجزائر

-كلمة عن دلالة العنوان :

رواية " أَعْشَقُنـي" هي من الرّوايات العربيّة بل العالميّة القليلة جدّاً التي تحمل اسماً يتكوّن من جملة فعليّة كاملة،وفي حين معظم الرّوايات تحمل اسماً لا غير أو جملة منقوصة تبدأ باسم أو بظرف أو بحرف جرّ.وهذا الاختيار يقودنا منذ البداية إلى حالة القلق التي تعيشها مؤلّفة الرّواية،إذ إنّها الفعل المضارع يحمل الاستمراريّة والقلق والإلحاح إلى جانب الملحميّة؛فالفعل المضارع هو من يحمل ثيمة الصّراع بحكم الاستمرار،فهو بامتياز فعل ملحميّ ينقل إصرار المؤلّفة على أن يكون القلق هو البوابة نحو الدّخول إلى الرّواية،تقول الأديبة د.سناء شعلان حول هذا الأمر :"رواية " أَعْشَقُني" وُلدتْ عندي في حالة غضب وانزعاج،وهي دون شكّ لم تنحرْ هذا الغضب وذلك الانزعاج،ولكنّها نقلته من حالة العصاب والكبت إلى حيّز الوعي والنّقد والتّشكيل والتّحرر والرّفض،هي صنعت من قهري حالة إبداع إداركيّة تنطلق من العلم والعقل والقلب لبناء عالم يوتيوبيّ منشود يفارق العالم المنكود الذي اجتهدت الرّواية في التّمرد عليه،وعدم الانصياع لإكراهاته. كنتُ غاضبةً بحقّ من البشريّة الحمقاء التي تتصارع دون توقّف،من البشر القساة اللامباليين،من حمّام الدّم المشرع في كلّ مكان بزخم دماء الأبرياء،من مشهد الحياة دون كرامة،من جداريّة الموت دون ونيس،من سلطة الفاسدين،ومن قهر المستلبين،من إعدام العشق،كنتُ حانقة على المتخمين كلّهم،وثائرة باسم الجائعين والمحرومين والمنكدين جميعهم،كنتُ في حرب ضدّ الحرب،وفي صرخة ضدّ جعجعات الكاذبين،كنتُ أريد أن أقول لا حتى ولو كلّفتني أن أنجز عملاً روائيّاً يعدم نفسه عند أوّل مفترق كتابة،كنتُ أدرك تماماً وأيقن في لحظة إيمان لا تعترف بالشّك أنّني أقامر على طاولة الفنتازيا بكلّ ألآمي ومعاناتي،وأنّني أراهن على الاستشراف العلميّ لرسم مستقبل ممكن في طور بناء عالمي يوتيوبيّ يخلص للحظّة الحبّ التي أؤمن بها خلاصاً للبشريّة في ظلّ

أزمة البشرية الكبرى،وهي غياب الحبّ؛فالبشريّة في حالة إفلاس روحيّ وشعوريّ يّ،ولذلك فهي تبتدع حرف الموت والكره،وتتنافس في الفحش والإيذاء،وتتذرّع بشتّى الذّرائع لتكسو نفسها بالسّلاح والبطش والتسّلط،وماهي في الحقيقة إلاّ منكوبة في قلوبها العاصية التي لم تتعلّم أن تحبّ،البشر في حاجة لدرس إنسانيّ في الحبّ،وهو خيارهم الأخير قبل أن يبدوا وينتهوا".

* سناء شعلان،من شهادة إبداعيّة لها حول رواية أعشقني.

ومن هذا المأزق بالتحديد كانت ولادة رواية" أَعْشَقُني" التي فارقت منذ البداية الشّكل التّقليديّ لعتبة الرّواية،واختارت أن يكون العنوان جملة فعليّة كاملة القلق والدّيناميكيّة والدّراما،وبعيدة البعد كلّه عن السّكون والاستسلام والبتر،بل هي حالة قلق موصول،كما هي حالة فعل مستمر،لا يقبل البتر أو القتل أو الاجهاض،إنّه فعل موصول لا ينتهي، إنّه يصلنا بحالة التلبّس والاستلاب الاختياريّ الذي يعيشه بطل الرّواية" باسل المهري"،وهو حالة إلباس مقصودة في دلالة العنوان قابلة لجعل المتلقي يقع في فخّ الخيارات والاحتمالات والتأويلات ،ليكون أسير الفضول والقلق،لتسهل قيادته إلى عالم الرّواية بقوة التوّهم والتّوقّع والرّكض خلف التفسير وحلّ رموز العنوان الذي يقول :" يا لجمال قدر يقودني إلى أن أعشقها!! أقصد أعشق جسدها،بل أعشق روحها وذاتها،من الصّعب أن أشرح لنفسي هذه القضية الملبسة،فأنا أعشق امرأة هي أنا في واقع الحقيقة الملموس،وأنا إيّاها في السّياق المنطقيّ نفسه،ولكنّ الحقيقة أنّني رجلّ يعشق امرأة في ظروف عجيبة،إذ هو ماديّاً مفقود،وهي روحانيّاً مفقودة،ولكن كلانا في هذه اللّحظة في ذات واحدة،هي إيّاها وإيّاي،إذن أنا أَعْشَقُني،ولذلك فأنا أعشقُها.

لابدّ أنّ هذه القضية أكبر من فهمكِ الصّغير يا ورد،يوماً ما ستكبر،وتفهم معنى ما يحدث،وستفهم دون غيركَ من البشر معنى كلمة أَعْشَقُني،أنا يا وردي أَعْشَقُني،أتعرف معنى ذلك؟معناه أنّني أعشق أمّكَ شمس بامتداد لا يعرف نهاية،فهل تغضب؟تستطيع أن تركلني بقدر ما تشاء إن كنتَ حانقاً علي،ولكن ذلك لن يغيّر شيئاً من حقيقة أنّني أَ...عْ...شَ...قُ..نِ...ي..."

* سناء شعلان:أعشقني،ط 2، 2014،عمان،الأردن،ص 82.

لقد قصدت الشعلان أن تجعل من عتبة عنوان رواية " أَعْشَقُني" مصيدة لفضول القارئ،وتميمتها السّحريّة من أجل أن تقوده نحو عالمي الرّوائي المنساح في هذه المساحة الغاضبة لأجل البشريّة التي فقدت زمامها،وتنقاد سريعاً نحو الفناء بأعتى وسائل الفتك والإرهاب والإبادة.ولم تبالِ بذلك التّأويل الأوّلي المفترض الذي يقود الكثيرين إلى الظّن أن "أَعْشَقُني" هي جملة فعلية آمرة،وأنّ كاتبة الرّواية أو بطلة الرّواية في أحسن التأويلات وأذكاها تستجدي العشق من المّارة والسّيارة وأرباب المشاعر المجّانية،وإن تفاءلت بأن ينتبه النّبهاء إلى أنّ عنوان الرّواية هو جملة فعليّة تبدأ بفعل مضارع،وأنّ العاشق والمعشوق واحد،وأنّ فكّ أحجية هذه الحالة الملبسة من العشق الموجّه نحو الذّات تكمن في الانقياد لرحلة "باسل المهري "في جسد " شمس" الملقّبة بالنّبيّة،وفي نفسه التي تكابد أزمة فكريّة وأخلاقيّة وإنسانيّة وعقائديّة ونفسيّة.

تقول الشّعلان عن روايتها "أعشقني" :"هي طريقتي لقول إنّني منزعجة وغاضبة،هي طريقتي التي أقصّ بها حلمي، هي حساسيتي نحو نفسي ونحو البشر ونحو الوجود،هي طريقتي في رسم نفسي في نسيج وحده،هي قلقي وشكّي ويقيني،هي مقولتي في مرجعياتي وأولوياتي،هي رؤيتي التي أطبع العالم بها".

* سناء شعلان،من شهادة إبداعيّة لها حول رواية أعشقني.

"أَعْشَقُني" هي صرخة الإنسان الرّافضة لاستلابه،هي اعترافه بعشقه دون خوف في مجتمع لا يخجل من الكره، ويؤثّم الحبّ،"،"أَعْشَقُني" تنقذ البشريّة المستقبليّة من المقولة الإلحاديّة الشّهيرة لجرترود شتاين:" "ليس هناك جواب ، ولن يكون هناك جواب ، ولم يكن هناك جواب قط ، وهذا هو الجواب ".

* سناء شعلان:أعشقني،ط 2، 2014،عمان،الأردن،ص 154.

"أَعْشَقُني" هي صوت شمس يصدح ""عندما يحضر خالد،تغيب كلُّ الأشياء؛فهو إله الحضور الجميل"،هي صوت خالد يقول بحكمة هادرة : " إنّ القلب يتّسع حتى يضيق العالم،إنّ القلب يستطيع أن يحمل بين

عرائشه كلَّ الصّور الجميلة"،هو صوت "باسل يناجي ربّه قائلاً بضراعة وتوسّل:" يلربّ،ساعدني".

* سناء شعلان:أعشقني،ط 2، 2014،عمان،الأردن،ص 9.

أَعْشَقُني" هي الكلمات السّحريّة للشعلان التي صنعت "خالداً" من العدم،وجعلته حقيقة نابضة إلى الأبد، فأفرحتني،وأحيت الأمل في كلّ قلبٍ ينتظر حبيبه الذي رسمه بألوان قوس قزح واشتهاء الحرمان،فوافه دون ميعاد،وطبع قبلة فرح أزليّ على روحه الحزينة الكابية.

تقول الشّعلان في هذه الرّواية :" لقد كان حلمي هو الانعتاق والتّحرر من تابوات المجتمع التي تقمع الفكر والتّقدّم والإبداع وتتأمر على الأفراد المجدّين المتميزين،وتتواطأ مع الكذب والفساد والاستلاب والقمع،وتصلب الفكر الحرّ الطّلائعيّ الرّياديّ على خشبة التّجاوزات،وتعدمه بحبلّ المحدّدات والأعراف وقبولات الجماعات والمجتمعات والأفراد والملل والنّحل.وكانت هذه الرّواية مطيتي نحو حريتي وانعتاقي الذي أراه في انعتاقاً للمظلومين والمقموعين جميعاً".

"باسل المهريّ" في هذه الرّواية انعتق من قهره بقوة حبّه لـ "شمس"،واختار أن يكون حبيساً في جسدها إلى الأبد كي يحمل جنبيها "ورد" في أحشائه،ويلده في عالم آخر ،و"شمس" انعتقت من قهر سلطة حكومة مجرّدة درب التبّانة عندما أعلنت ثورتها على الاستلاب القهر ،وقادت ثورة لا تعرف هوادة على الشّر والأشرار حتى آخر لحظة من عمرها،و"خالد" تحرّر عندما حرّض "شمس" على ثورتها،وآمن بحقّها في امتلاك خياراتها،وحلّ لغز طاقة البُعد الخامس وأنتجها،والبشريّة كلّها تحرّرت عندما آمنت بحقّها في الحريّة،وعرفت طريق إنتاج طاقة البُعد الخامس عن طريق الحبّ الحقيقي".

* سناء شعلان،من شهادة إبداعيّة لها حول رواية أعشقني.

-كلمة عن دلالة افتتاحيّة الرّواية:

افتتاحيّة الرّواية هي بطاقة التّعريف السّرية لهذه الرّواية،وهي شكليّاً أقصوصة من يوميّات" شمس"التي حُرّزتْ بعد اعتقالها،وحُفظتْ تحت بند "سرّي" بعد مصادرتها

لحساب المخابرات المركزيّة لمجرّة درب التبّانة،فمن يقرأ هذه البطاقة،ويتأمّل في قول "شمس" يدرك أنّه أمام ثنائيات معقّدة تحتاج إلى تفكيك وتحليل وإعادة تركيب: " من يوميّات امرأة عاشقة في مجرّة درب التّبانة :

" وحدهم أصحاب القلوب العاشقة من يدركون حقيقة وجود بُعد خامس ينتظم هذا الكون العملاق،أنا لستُ ضدّ أبعاد الطّول والعرض والارتفاع والزّمان،ولستُ معنية بتفكيك نظرية إينشتاين التي يدركها ،ويفهمها جيداً حتى أكثر الطّلبة تواضعاً في الذّكاء والاجتهاد في أيّ مدرسة من مدارس هذا الكوكب الصّغير،ولكنّني أعلم علم اليقين والمؤمنين والعالمين والعارفين والدّارين وورثة المتصوّفة والعشّاق المنقرضين منذ آلاف السّنين أنّ الحبّ هو البُعد الخامس الأهم في تشكيل معالم وجودنا،وحده الحبّ هو الكفيل بإحياء هذا الموات،وبعث الجمال في هذا الخراب الإلكترونيّ البشع،وحده القادر على خلق عالم جديد يعرف معنى نبض قلب،وفلسفة انعتاق لحظة،أنا كافرة بكلّ الأبعاد خلا هذا البعد الخامس الجميل،أنا نبيّة هذا العصر الإلكترونيّ المقيت،فهل من مؤمنين ؟ لأكون وخالد وجنينا القادم المؤمنين الشّجعان في هذا البُعد الجميل. خالد أنا أحبّكَ،وأحبّ جنينا كما ينبغي لنبيّة عاشقة أن تحبّ..."

* سناء شعلان:أعشقني،ط 2، 2014،عمان،الأردن،ص 11.

فبهذه البطاقة التّعريفيّة المنتزعة من يوميّات "شمس" ندرك أنّنا أمام عاشق ومعشوق ولعبة حياة ولغز اسمه طاقة البُعد الخامس،ومن هذه اللّحظة تعلن الكاتبة انتصار الحبّ في عالم استشرافيّ مفترض مصوغ وفق معطيات الخيال العلميّ التي تتعامل مع معطيات أبعاد الطّول والعرض والارتفاع والزّمن،ثم تفترض وجود أبعاد أخرى لم يصل العلم بعد إلى تحديدها،وتقيّدها بمعادلات علميّة مؤكّدة،ومن هنا تتشكّل فرضيّة البُعد الخامس في هذه الرّواية التي تعتقد أنّ هناك طاقة جبّارة كامنة في القلب البشريّ وفي مشاعره الصّادقة المحبّة،وأنّ من الممكن تحويل هذه الطاقة الشّعوريّة إلى طاقة فيزيائيّة عملاقة بشرط أن تنبثق من قلوب العشّاق وفق معطيات محدّدة وشروط علميّة معلنة .

-كلمة عن الغلاف ودلالته:

الطبعة الأولى **الطّبعة الثّانية**

لقد صدرت من هذه الرّواية في طبعتين؛الأولى صدرت في العام 2012،في حين صدرت الثّانية في عام 2014،وفي الطبّعة الأولى ظهر الغلاف أحمر اللّون قانٍ في قلبه زهرة حمراء وخاتم ماسيّ في أعماقها؛ولاشكّ أنّ الرواية تُقرأ حقيقة منذ غلافها،فهو عتبة من عتبات الدّخول إلى الرّواية،أو أوّل صفحة من الرّواية؛فالأحمر هو لون ذو تأثير قوي على المناظر أكثر من كافة الألوان الأخرى، وكان يُرمز به للحياة وللانتصار عند القدماء المصريين،وإذا كان رمزاً للحياة، فهو بذلك رمزٌ للصفة التي يسبغها على الجنس، وهي صفة الحياة لا المُتعة فقط، واللّون الأحمر له في الخيال العربيّ صلة بالدم والشهوة،والدم هو عصب الحياة الذي تتمّ به، ولولاه لما كانت هناك حياة، في حين إنّ الشهوة هي المحرّك لصنع الحياة التي سيتدفّق الدم في تجسدّاتها الملموسة كالإنسان والحيوان.والوردة في الغلاف هي رمز للحياة حيث تعرض الرّواية إلى أنّ الزّهرة ستكون منقرضة في المستقبل كما سينقرض الغطاء النّباتي كلّه،وهي وحدها رمز الصّلة مع الماضي والجمال والحقيقة،ولذلك اختارت

المؤلّفة أن تجعل من الزّهرة هي الباقي الوحيد من بطلة الرّواية؛حيث تركتها في حافظتها الإلكترونية :" ينتقل عبر الآمر الإلكترونيّ إلى صفحة ضوئيّة جديدة، يجد زهرة بريّة مجفّفة مجهولة الفصيلة، يداعبها برقّة خوفاً من أن تسقط بتلاتها نتفاً بين يديه، منذ زمن طويل لم يرَ زهرة أو شجرة حقيقيّة، يحتاج إلى أن يذهب إلى متحف زراعيّ أو إلى محميّة طبيعيّة من يريد أن يرى شجرة حقيقية أو زهرة غير صناعيّة، فقد انقرض الغطاء النّباتي منذ مئات السّنين من كوكب الأرض، ولولا عمليات الاستنساخ الطّويلة لما عادتْ كلمة شجرة إلى قاموس البشريّة المعاصرة، فالإنسان دمّر هذا المفهوم عن بكرة أبيه منذ قرون بسبب تعدّيه الجائر على الطّبيعة واستنزافها عبر الاستهلاك غير المدروس والحروب والحرائق والكوارث البيئيّة المتلاحقة.

قرّب الزّهرة من أنفه، وشمّها بتمهّل واستمتاع قادم إلى نفسه على جرعات، لا تزال تملك بعضاً من شذاها الطّبيعيّ المُسكر، قال في نفسه: من أين لها بهذه الزّهرة الجميلة؟ هل قطفتها من محميّة ما؟ ألا تعرف أنّ هذا سلوك جرميّ، ويعاقب عليه القانون بغرامة كبيرة؟! يبدو أنّها مولعة بحق بالمخالفات وبالغرامات وبالجُنح القانونيّة"

* سناء شعلان:أعشقني،ط 2، 2014،عمان،الأردن،ص 51.

أمّا الخاتم الذي يتوسط الزّهرة في غلاف الرّواية فهو دون شكّ يربطنا برمزية تقديسية له مردّها إلى استدارته؛ لأنّه بلا بداية أو نهاية، لذلك عدّه المصريون القُدامى رمزاً للأبدية، وجعلوا العلامة الهيروغليفية الخاصة بالأبدية عبارة عن حلقة تحمل بعض التشابه بالحبل ذي العروة، ونهايتاه مربوطتان في عُقدة. لذلك كانت تُرسم الحيوانات المقدّسة غالباً ممسكة بهذا الرمز الخاص بالأبدية بمخالبها.وفي الخرافات الشعبية المصريّة كان يُعتقد بأنّ الخواتم السحرية تُعطي لحاملها الحماية من المرض، والأشياء الأخرى الكريهة.

والخيال العربي خاتماً سحريّاً تتجسّد فيه كلّ قوى سيدنا سليمان، ويختزل كلّ سلطانه، وتخيّل كذلك أنّ ذلك الخاتم قد بقي بعض موت صاحبه، كما بقي محتفظاً

بكلّ قواه وخصائصه، التي يستطيع أن يحوزها أيُّ إنسان يملك هذا الخاتم الأسطوري ويلبسه.

أمّا غلاف الرّواية في طبعته الثّانية فقد جاءت صورة المؤلّفة تتوسّطه بزهورها التي تطوّق رأسها،وكأنّها تقول بجرأة:" ها أنذا،أنا سناء وأعشق الحياة،وأعشق الجمال،لماذا لا تفعلون مثلي؟".هذا الغلاف يقودنا إلى الرّواية عبر المؤلّفة التي تقول دائماً: " أنا أحبّ الحياة،وأحبّ البشر ،وأخجل من كلمة أكرهه،ولذلك أعشقني"

* سناء شعلان:من كلمتها في حفل توقيع رواية"أعشقني" في كليّة الآداب،جامعة معسكر ،معسكر ،الجزائر ،10 مارس 2014.

-كلمة عن عنوان كل فصل من الفصول الثمانية بإيجاز :

الثّورة التي كانت هي مضمون هذه الرّواية وهاجسها،هي كانت مسوّغها ودافعها نحو التّحرّر من الشّكل التّقليديّ للرّواية،فلا يمكن أن نتحدّث عن الثّورة إلاّ بالثّورة،لذا فقد شُكّلت الرّواية كما يشاء الانعتاق،مادام السّرد قادراً على النّهوض بهذه الرّواية؛ فكانت الفصول الثّمانية في الرّواية هي استعراض للأبعاد ومعادلات رمزيّة للطّاقة في البُعد الخامس،وهي –دون شكّ –تصلح لأن تكون إشارات علميّة إنسانيّة تشابه الإشارات الصّوفيّة التي تشير إلى المبتغى،وتقود الرّاغب نحو الطّريق،وهي تُفسّر وفق فهوم المتلقين،وتُدرك على قدر تأويلات المريدين.

الزّمن هو مَنْ كان البطل الحقيقي في الرّواية،ولذلك ساح السّرد في ثنايا هذا الزّمن،ودار في عوالم الماضي والحاضر والمستقبل دون حواجز ،وكان صوت الرّاوي العليم هو المسيطر ،ولكنّه كان يسكتُ عندما تعلو إرادة أبطال الرّواية،ويخنقهم الضّيق أو تتأجّج مشاعرهم،فنسمع أصواتهم وهم يتناوبون على السّرد،ويتقاسمون أدوار دفعه نحو الحدث باقتدار دون تدخّل الرّاوي العليم،ولا يعطون زمام السّرد من جديد له إلاّ عندما يتركون له دور الإحاطة والوصف التي لا تنبغي لهم،وهم الشّركاء في صنع الحدث،لا الشّاهدين عليه فقط.

وهؤلاء الأبطال الورقيون وهبوا أنفسهم حقّ الانتقاء ما دامت مساحة السّرد والتخييل تسمح لهم بذلك،وتقول الشعلان في ذلك:" أنا كان يسعدني أن أدخل مهم في لعبة الحريّة،ولذلك فقد مكّنتهم من حريّاتهم في التّعبير،فقبلت بأن يسردوا بحريّة،ونقلت حواراتهم الدّاخليّة مع أنفسهم،وتجسّست على أحلامهم وكوابيسهم وكوامن أنفسهم،ودونتها في الرّواية،ثم قبلتُ بأن أتواطأ مع إرادة " شمس" و"خالد"،وسمحت لهم بأن يسردا قصتهما عبر تقنية اليوميات التي كانت تكتبها "شمس" على أمل أن تقرأها ابنتها "ورد" في يوم ما".

* سناء شعلان:أعشقني،ط 2، 2014،عمان،الأردن،ص 51.

وهذه اليوميات أصبحت فضاءً للفعل والحدث والفكرة،كما كانت مادة مرنة قابلة للتّخصب بأشكال السّرد،فكانت هناك الرّسائل الوجدانيّة المتبادلة،وكانت بنية الحكي المتوالدة المبينة على شكل محدّد له بداية وعرض ونهاية مستلهمة شكل حكايا ألف ليلة وليلة؛فهي تبدأ دائماً برسالة من" خالد"،وتنتهي برسالة منه أيضاً،في حين تتوّلى "شمس" سرد حكايتها مع المجتمع والحبّ والعشق في منتصف اليوميّات،كما تختمها بحكاية خياليّة ذات علاقة وثيقة بمجريات الأحداث،وتعقدها دائماً تحت جملة "تقول حكاية النّوم ياورد الجميلة" في حين كان "خالد" يوقّع رسائله لـ "شمس" بـ" أشتهيكِ"،كما كان هناك الشّعر والوصايا المعقودة جميعاً تحت تواريخ مستقبليّة في التّاريخ المفترض،وهي تواريخ ذات إشارات صوفيّة؛إذ هي مفاتيح لغزيّة تبدأ كلّ حدث،وترتبط بمضمون يوميّات "شمس" كما تقود "باسل المهري" إلى خياراته في هذه الرّواية.إلى جانب أنّ اللغة التّقريريّة ذات البُعد الصّحفي قد وجدت مساحة لها في المواطن التي كانت ترصد حركة الإعلام والمجتمع إزاء الثّورة و"شمس" في الرّواية.

كما تقول الشّعلان:" وكي لا تنتصر إرادة أبطال الرّواية على إرادتي الشّخصيّة؛ فقد انتصرتُ لنفسي بالسّرد الموازي الذي يربط الماضي بالحاضر بالمستقبل في هذه الرّواية،وفي حين كانت "شمس" تسرد عبر يومياتها،كان صوتي يسرد عبر النّص الموازي الذي يسرد حكاية "باسل المهري" مع جسده الأنثى الذي حصل عليه بعد عملية جراحيّة معقدّة تجريبيّة لفرضية أن نقل العقل البشري من جسد إلى آخر ممكن

في نظر العلم،وهذا ما كان في الرّواية،فقد نُقل عقل "باسل المهري" إلى جسد الثائرة "شمس" التي أمر بقتلها بعد أن اعتقلها بوصفه عسكريّاً موكلاً بالقضاء على الثّوار الذين تقودهم "شمس" المعروفة بالنّبيّة،ولكن المفارقة كانت في أنّ الثّوار دبّروا له كميناً،وفتكوا به في يوم مقتل زعيمتهم" شمس"عندها قرّر الأطبّاء أن ينقلوا عقله الذي لا زال حيّاً إلى جسدها،وهذا ما كان".

* سناء شعلان،من شهادة إبداعيّة لها حول رواية أعشقني.

-كلمة عن الخيال العلمي والتّجريب في هذه الرّواية:

تقول الشّعلان عن الخيال العلميّ في هذه الرّواية:" بعباءة الخيال العلميّ استطعتُ أن أحلّق نحو الحريّة بكلّ تمرّد دون أن يعوقني عائق نحو تصوير مستقبل البشريّة المفرغ من الإنسانيّة والمشاعر والسّعادة،وهو مستقبل مقبول فرضيّاً وعلميّاً إن استمر الإنسان في لعبته الجهنّميّة مع ذاته،وهي لعبة تحويل نفسه إلى آلة عاملة منتجة مستلبة لا تحلم بحرّية أو إبداع أو خروج عن النّسق،وفي هذا المستقبل توبيخ للإنسان الذي أضاع قلبه ووجدانه وضميره وحلمه،دون الانتقاص من قيمة العلم وجدوى الآلة ودورها في خدمة الإنسان"

* سناء شعلان،من شهادة إبداعيّة لها حول رواية أعشقني.

وهذا الإنسان المسخ في عوالم رواية " أَعْشَقُني" هو صورة الإنسان المستقبلي في عام 3010م بعد أن يغدو قُدماً في ظلمه وسلبيته ونفعيته،وهو ذاته المادة التي سوف أشكلّها لتنتج "باسل المهري" المرتدّ عن ظلمه بقوة الحب،وهي التي تنتج " خالداً " و "شمساً" اللذين يرسمان طريق الثّورة نحو تحرّر الإنسان من ظلمه،وهما من يكونان نبيّي الأخلاق والشّرف والمبادئ والعدل والإخاء في عالم سقوط القيم،ورحيل الضّمير والمبادئ.

فهذه الرّواية هي رواية فنتازيا الخيال العلميّ التي ترسم حياة الإنسان المستقبليّ ضمن إرهاصات العلم المحكومة بتوقعات علميّة قابلة للتحقّق،وفي الوقت نفسه تنحاز إلى رصد ردود فعل الإنسان في عوالمه المستقبليّة،وتسمح لنفسها بخلق فجوات حدثيّة غير قابلة للتسويغ بمنظور العلم،ولكّنها شحطات مضافة إلى توقعّات العلم لإبراز أزمة الإنسان الرّاهنة والمتسقبليّة في ضوء النتائج المترتّبة المرسومة في مشهد المستقبل الذي يدفع الإنسان إلى إعادة النّظر في سلوكه وواقعه،ويحذّره من مآله،ويحرّضه على تعديل مسيرته بغية النجاة من مصيره المأساويّ المنتظر الذي يحذّرنا الخيال العلميّ منه.

وإن كان الخيال العلميّ في ظلّ إفلاس المجتمعات العربيّة واستلابها في الوقت الرّاهنة لم يعد مطيّة الأدب نحو الإنسان؛لأنّه حلم الأمم التي تنتج الحضارة والعلم،فإنّ فنتازيا الخيال العلميّ تهرب من أزمة إنتاج الحضارة إلى أزمة إعادة إنتاج الإنسان وتأهيله،ولذلك فإنّ رواية "أَعْشَقُني" تتحايل على تقديم معادلة علميّة محدّدة للطاقة المفترضة في البُعد الخامس بأن ترسم عوالم مفترضة كاملة في عام 3010م حيث الإنسان يعيش في جغرافيا شاسعة تمتدّ عبر كواكب مجرّة التبّانة،ويتنقّل عبر مراكب فضائيّة،ويعيش في منظومة استلابيّة تحوّله إلى مجرّد رقم لا إرادة له ولا قرار،فيعيش ويتزوّج ويتناسل وفق إرادة هذه المنظومة التي يحكمها الأشرار والرّجال الآليّون،حتى أنّ هذا الإنسان ينقطع عن ماضيه وإرثه وإنسانيّته وفطرته،فيهجر ربّه وقلبه وجسده،ويغدو مفرغاً من كلّ شيء خلا الطّاعة العمياء لنظام الآلة وسيطرة المنظومة التي تكرّسه لأجل خدمتها وثرائها وسلطتها.

التّجريب عبر الخيال العلميّ وامتطاء الفنتازيا أتاح للشعلان أن تنقل كوابيسها وكوابيس البشريّة القلقة على مصير الإنسان إلى حيوات حقيقيّة دراميّة تشهد مآل الإنسان ضمن توليفة منساحة رحبّة تنبع من اليوتوبيا الخياليّة والكوميديا السّوداء والحكايات الشّعبيّة والخرافات والموروث الإنسانيّ وفنون الإرعاب وأكاذيب المخيال وشطحات التفكير وتهويمات الخيال وجذاذات الحلم والكوابيس ومبالغات العقل وإسقاطات النّفس وفلتات الوعي ومزالق اللاوعي وغابات التّداعي الحرّ للأفكار وفوضى الأفعال اللاإراديّة والقسريّة والوسواسيّة.

وفي ظلّ الخيال العلمي رسمت عالماً مخيفاً إن حكمه العقل،وقادته النفعيّة وغاب عنه القلب،وهجرته المشاعر،بل بالغت في تقريب صورة هذا الوحش الذي يغدوه الإنسان دون قلبه،حتى تغوّلت ملامحه المخيفة البائسة،فما عاد يعرف الجنس ولا الحبّ ولا الرّب،وأصبح مفلساً من كلّ سعادة،يعيش أوقاته دون هدف أو بغية.

تقول الشّعلان: " أَعْشَقُني" ليست رواية الخيال العلمي فقط،بل هي رحلتي الخاصّة مع التّجريب الذي يبحث عن فضاء للحريّة والانعتاق،بل هي الفضاء الذي مارست الحياة فيه،وانتصرت به على الموات." أَعْشَقُني" هي طريقتي الخاصة التي فارقت بها الطّرق جميعها،هي مآلي في رحلتي المحمومة في البحث عن شكل روائي جديد يكسر الرّتابة،ويمثّل نفسه بنفسه،ويخطّ به طريقه نحو تشكيل العالم الرّوائيّ المكان الأرحب لرسم عوالم كاملة خارج العوالم الحقيقيّة.

"أَعْشَقُني" هي تمرّدي،ولذلك هي الأجمل في تجربة سناء شعلان الإنسانة،وهي بصمة التّجريب الجريئة في رحلة سناء شعلان الرّوائيّة.وطوبى للتّجارب والرّحل في محراب العشق،وطوبى للتمرّد الذي لايعرفه سوى البشر الحقيقيين".

* سناء شعلان،من شهادة إبداعيّة لها حول رواية أعشقني.

-كلمة عن كتابة العلم بلغة الأدب:

التّحدي الكبير لسناء شعلان في هذه الرّواية كان في توصيف العلم بغير لغته، وفي ذلك تقول:" فما كنتُ أرضى أن تكون روايتي سجالاً علميّاً بلغة البحث العلميّ الرّصين،ففي هذه الحالة ستكون جنازة بحثيّة مكانها أدراج معامل البحث العلميّ،أو صبّورة تعجّ بمعادلات علميّة مغلقة على الفهم،وما كان هذا مبتغاي في روايتي،بل أردتها أن تكون أداتي لانتقاد هذا العالم،ووسيلتي نحو الثّورة عليه،وطريقتي للتحذير من غيّ الإنسان،وقيثارتي الأزليّة لأقول: أحبّ الله،أحبّ البشر،أحبّ الخير،ما أحوجنا إلى الحبّ!

ومن هذا المنطلق سهل عليّ أن أخلع لغة العلم حيث الرّصانة والدّقة والقصديّة والوضوح،وانسرحتُ أسدرُ في اللغة الشّعريّة المحملّة بالتّرميز والإشارات،وتقمّصت أشواق العاشقين،واستعرتُ لغتهم وأشعارهم،ونقلتُ رسائلهم،وسردت حكاياهم،وكان الوصف هو حليفي في اقتحام العوالم المفترضة في الزّمن المستقبل؛إذ كان النّاقل الأمين للعوالم التخيليّة التي يفترضها العلم،ولا يمكن أن ينقلها إلينا،أو ينقلنا إليها إلاّ عبر اللغة التّوصيفيّة التي تستعير من إمكانات الموروث والأشكال الفنيّة المتعدّدة لأجل أن أتخصّب نفسها بممكنات الوجود،وأشكال المكان والزّمان والشّخوص والأحداث،بل هي من تكون البطل الحقيقي للحبكة،وتقود التأزّم،وتشكّل به مسيرة السّرد".

* سناء شعلان،من شهادة إبداعيّة لها حول رواية أعشقني.

-كلمة عن سؤال البشريّة المعلّق في هذه الرّواية:

"باسل المهري" في هذه الرّواية لم يجبْ عن سؤال البشريّة المفترض المقبل في ضوء الخيال العلميّ الذي يرهص بإمكانيّة أن يتقدّم الطّب إلى درجة نقل الدّماغ البشريّ من جسد إلى آخر،فهل البشريّة ستسعد بهذا الفتح العلميّ الطّبيّ أم ستشقى؟ وهل سيكون الموت أرحم من أن يجد الإنسان نفسه بعد عملية جراحيّة عالقاً في جسد آخر؟ أم أنّ الحياة أثمن من أيّ تضحيات؟ هذه الأسئلة الحائرة اللاهثة لا تجد إجابة في رواية الشّعلان التي تعلّل ذلك بقولها :" لأنّني شخصيّاً لا أملك إجابة لها".

* سناء شعلان،من شهادة إبداعيّة لها حول رواية أعشقني.

ولكنّ "باسل المهريّ" يؤكّد أنّ التّجربة صعبة ومؤلمة،وينقل إلينا مكابداته في هذه التّجربة؛إذ أنّه الإنسان الأوّل الذي يعابن هذه التّجربة،ويدخل في تهويماتها وشطحاتها".

ولكن ما يعني سناء شعلان الرّوائيّة من هذه الشّطحة العلميّة المفترضة ما تتوافر عليه من تخييل وأسئلة إبداع ومساحات توقّعات وميادين جدال؛فعبر هذه الشّطحة

انتقل عقل "باسل المهري" إلى جسد "شمس"،وبدأت مغامرته الصّغرى مع عشقها،كما بدأت مغامرته الكبرى مع أسئلة الوجود والحياة والموت والتّحرر والإنسانيّة والمدنيّة والخلود والسّعادة والجسد والنّماء؛فهذه الشّطحة قادت الرّواية إلى البحث عن سرّ سعادة البشريّة الذي لا يمكن إلاّ أن يكون في الحبّ،ولاشيء غير الحبّ.